بلاغة الخطاب التربوي: من النقل إلى الفعالية

د. عبد الوهاب صديقي[1]

الملخص:

نعرض في هذه الدراسة مدخلا بلاغيا في تحليل الخطاب التربوي، لإبراز آلياته الحجاجية التي ساهمت في اقناعه، وقد اتخذنا كتاب (أحمد أوزي 2015) حيزا بلاغيا للإشتغال.

توطئة منهجية:

بداية سنحاول مقاربة الخطاب التربوي، مُمثلا في كتاب الباحث أحمد اوزي؛ المتخصص في قضايا التربية والطفولة والمراهقة، بعنوان: «التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ2»، مقاربة بلاغية حجاجية لتأكيد سعة البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique في معالجة وتحليل كل الخطابات.

وتناولنا للخطاب كإنتاج لغوي في سياق معين، غايته التواصل بين متكل ومخاطبكما في الطرح اللساني الوظيفي (المتوكل2010،2001))3، وتأسيسا على هذا الطرح فإن الخطاب التربوي هو كل انتاج لغوي مرتبط بقضايا التربية والتدريس بجميع حيثياتها.

1- باحث في اللسانيات والحجاج، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر أكادير

2- أحمد اوزي، التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ، منشورات مجلة علوم التربية، عدد39، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2015 وسنكتفي بذكر رقم الصفحة للإحالة عليه.

3-للتفصيل ينظر،عبد الوهاب صديقي، نحو الخطاب الوظيفي، من تنميط اللغات إلى تنميط الخطابات، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014 منشورات كلية معارف الوحي، ماليزيا، ص: 68-41

فهو كل خطاب صادر عن فاعل تربوي، يروم منه تقديم بدائل وحلول لقضايا التربية، وتندرج ضمنه الكتابات التربوية، والتشريعية، من مذكرات تربوية، وأطر مرجعية ومناهج ومقررات تصدرها وزارة التربية والتعليم، وكتابات الفاعلين التربويين من باحثين في علوم التربية، ومفتشين وأساتذة، كما تندرج ضمنه الكتابات المتضمنة للتشريع المدرسي وقضايا مهنة التدريس.

نستعمل البلاغة Rhétorique كمبحث يُعين الباحثَ في الكشف عن الآليات الإقناعية والبلاغية في الخطاب الطبيعي، وكصفة لكل خطاب يروم التأثير في المستمَع Auditoire، والخطاب التربوي في نظرنا خطاب يروم التأثير في المستمَع/ المتعلم واكسابه معارف ومهارات ومواقف تعينه على التفاعل بإيجابية مع الوضعيات -المشكلات التي قد تُصادفه في محيطة السوسيواقتصادي، بالتالي يتحقق ما تنشده المدرسة المغربية جودة الجودة في التعلمات.

وايمانا منا بأن التحليل البلاغي هو الفضاء الأرحب لتحليل الخطاب، استثمارا منا لتصور الباحث محمد مشبال للبلاغة بكونها:» صفة لأي خطاب يوجه اهتمامه نحو التعبير ويتوخى إحداث وظيفة تأثيرية زائدة على وظيفة الاخبار، وهي توجد في كل أنماط الخطاب اللغوي؛ في القصة والقصيدة والشعار والموعظة والدعاية واللغة وعناوين الأفلام والأمثال وغيرها»4.

فإننا نؤكد بلاغة الخطاب التربوي من خلال كتاب الباحث أحمد أوزي.

ومعلوم أن البلاغة كما استعملها أرسطو، والجاحظ(ت255هـ)، والجرجاني(ت471هـ) وحازم (ت684هـ)، مرورا بشاييم بيرلمان (1912-1984 Chaïm Perlman)، تستهدف التأثير في المخاطَب، فأي خطاب إذا كانت غايته «حمل المستمَع» على الإقناع يمكن وصفه بالبلاغي.

تختلف سبل البلاغة والحجاج في الإقناع، فإما أن يتكئ مُنتج الخطاب على العواطف والأهواء، فنسم بلاغته ببلاغة الباطوس Pathos، وإما أن يحرص مُنتج الخطاب على الظهور أمام مخاطَبه بأنه أهل لثقته فنسم بلاغته ببلاغة الايتوس Ethos، وإما أن يكون الخطاب قويا في بنيته الحجاجية والبلاغية فنسمه ببلاغة اللوغوس Logos .

تأسيسا على هذا الطرح اقترحنا عنوان:» بلاغة الخطاب التربوي من النقل إلى الفعالية»، للتأكيد على بلاغة الخطاب التربوي، لأن الغاية منه الاقناع وحمل المتعلم على الاقتناع، للتأثير L'influence في سلوكه ومواقفه، وتوجيهه التوجيه السليم الذي يعينه على التكوين الذاتي، وبناء تعلماته، بالتمكن من المعارف واستثمار الوسائط الرقمية الكفيلة بذلك، وبذلك تتحقق الفعالية في التعلمات والمعنى والجدوى.

4- محمد مشبال، البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، منشورات دار العين، القاهرة، الطبعة الأولى 2010 ص: 62

ولهذه الغاية انطلقنا من كتاب جديد للباحث أحمد اوزي بعنوان: «التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ»، لنقدم منظورا بلاغيا جديدا في قراءة الخطاب التربوي، من خلال البحث في الآليات الحجاجية والبلاغية التي تجعله يؤثر ويقنع المستمَع أي الفاعل التربوي المهتم بقضايا التربية والتدريس، الباحث عن سبل جديدة واستراتيجيات خطابية Stratégies discursives بمعناها الحجاجي كما نجد عند باتريك شارودو Patrick Charaudeau 5 وهي استراتيجيات يعتمدها منتج الخطاب للإقناع بدعواه وحمل المستمع على الاقتناع بها.

وهذا الكتاب الجديد للباحث أحمد أوزي يروم اقناعنا بدعوى مضمونها أن الغاية من التعليم والتعلم هو الفعالية، والفعالية هو تحقق التأثير في المستمع/ المتعلم على مستوى تعلماته ومهاراته ومواقفه، وإلا فإن الأمر لا يعدو أن يكون هدرا مدرسيا لمقدرات الوطن.

وفي قراءتنا البلاغية لهذا الكتاب سنعتمد على المحاور التالية حتى يستكشف القارئ الامكانات البلاغية والحجاجية للخطاب التربوي التي تجعل منه مقنعا ومؤثرا، ومختلف الطرق الحجاجية التي يتكئ عليها منتج الخطاب التربوي في الاقناع و منها:

- **بلاغة العنوان:**

العناوين مفاتيح النصوص كما يقول البلاغيون؛ وهي أول عتبة يتعامل مع القارئ فيوظف «أفق انتظاره « كما نجد عند رواد نظرية التلقي الألمان، من خلال توظيف ذاكرته الخطابية وذخيرته القرائية لفك شِفرة العنوان.

فالعنوان أمامنا «التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ»

فرهان العنوان هو اقناعنا باقتراحات الباحث لفعالية التعلمات في شقها؛ التعليمي ممثلا في دور المدرس وعدته البيداغوجية، وكفاءته التربوية، واستثماره للوسائط الرقمية. وفي شقها التعلُّمي ممثلا في المتعلم واستعداداته، وتمثلاته ومحيطه ونفسيته. ولهذه الغاية وفي عنوان فرعي يقر الباحث أحمد اوزي أن الخيار أمامنا كفاعلين تربويين هو التسلح ببيداغوجيا الاكتشاف، بالانفتاح على الوسائط الرقمية التي توفرها الثورة الرقمية، ومعرفة القدرات الهائلة للدماغ البشري واستثمارها في الابداع والابتكار والذكاء.

وتأكيدا على بلاغة العنوان ضمَّن الباحث كتابه صورة للدماغ البشري بفصوصه؛ تؤكد ذكاءه

5- Patrick Charaudeau , de l'argumentation entre les visées d'influence de la situation de communication, p21

وقدرته على الابتكار والابداع، بالتالي انفتاح المدرس على مقاربة الذكاءات المتعددة ستعينه على اكتشاف القدرات الهائلة للمتعلمين.

تكمن بلاغة العنوان في الخطاب التربوي ممثلا هنا في كتاب الباحث أوزي (2015) في كونه استطاع فتن Séduire بمفهومه الحجاج القارئ وتشويقه للنص، لا سيما وأن الفاعل التربوي/ المستهدف هنا في حاجة ماسة لاستراتيجيات تربوية لتجويد التعلمات وفعاليتها وهي ما يقترحها علينا الكتاب، وهو بالمناسبة من الحجم المتوسط (230ص)، يحتوي على مقدمة وتسعة فصول، وخاتمة ثم لائحة المصادر والمراجع باللغة العربية والأجنبية، إذا استحضرنا سياق المدرسة المغربية وقضايا العنف والغش وبور القيم6.

والغاية من الكتاب كما يقر الباحث هو» أن يساعد الذين يحتكون بالأطفال ويحبونهم، ويسعون إلى فهمهم الفهم الصحيح، وأن تساعد قراءته المتأنية المعلمين والآباء وطلاب التربية وعلم النفس على لإدراك جديد للأطفال ولقدراتهم على التعلم، وتحقيق التواصل الفعال معهم» ص5 ويؤكده في خاتمة الكتاب، ترسيخا للفكرة وتعميما للفائدة في وسط الفاعلين التربويين هي السعي» إلى الاهتمام بعملية التعليم والتعلم لأنها وسيلة الإنسان والرقي به، ومن هنا وجب مراجعة طرائقنا في التعليم والتعلم.(...)المدرس اليوم مدعو إلى التموقع في وضع جديد، وضع يجعله منظما ومرافقا وشخصا يمثل مصدرا للموارد بالنسبة إلى المتعلمين» ص:117-116

بلاغة المفهوم:

من المعلوم أن المفاهيم معالم، لأي حقل معرفي، إذ لا يمكن الحديث عن أي علم دون مفاهيم، التي تحدد اطاره النظري ومنهجية اشتغاله؛ فبقدر تمكن أي باحث من المفاهيم، بقدر فهمه واستيعابه للنظرية العلمية في أي حقل معرفي، كاللسانيات مثلا فتمكن الباحث من الأسس النظرية لنظرية النحو الوظيفي، ونماذجها ومفاهيمها، يجعله متمكنا منها، عارفا ومتابعا لما يُستجد فيها، وهذا يسري على جميع الحقول الفلسفية والتربوية وغيرها؛ بالتالي فللوصول إلى رهان الكتاب اعتمد الكاتب على عدة مفاهيمية دقيقة، مرتبطة بالعملية التعليمية – التعلمية، امتحها من نظريات التعلم كسيكولوجيا التعلم، والجشطالت، والنظرية السلوكية، والنظرية البنائية، والذكاءات المتعددة.

مما جعلنا نقر ببلاغة المفهوم، لقوته الاستدلالية، وللإحاطة الشاملة بمختلف المفاهيم المرتبطة بالتعلم، مفاهيمَ، وأنماطا وأنواعا، وروادا ونظريات.

فبالنسبة للتعلم حدها الباحث معجما في اللغة العربية واللغة الفرنسية، ص:11-10، أما

6- عبد الوهاب صديقي، المدرسة المغربية وسؤال القيم؛ قراءة تحليلية في كتاب "سيكولوجية العنف" لأحمد اوزي، مجلة علوم التربية، عدد61، يناير 2015 ، ص: 146

من جانب المفاهيم فقد ربطه الكاتب بالبيداغوجيا والمثلث الديداكتيكي، وسيرورة التعلمات، واستعدادات المتعلم النفسية والذهنية.

أما تنميط التعلم فيقترح الباحث؛ التعلم الأكاديمي، والاجتماعي، والاكتشافي، والتعاوني والذاتي، والعلاجي، والمفتوح، والمبرمج والتعلم بواسطة الوسائط الرقمية، والتعلم للمعرفة، والتعلم للعيش وللعمل، مميزا كل نمط، واقفا عند جدواه وانعكاسه على تعلمات المتعلم، وايقاعات التعلم.

أما أنواع التعلم فقد عدها الباحث في؛ تعلم ينصب على المهارات، وتعلم على المعارف، وتعلم على المواقف.

أما ما يتعلق بالنظريات والرواد، قدم الباحث عدة تمكنه من التمييز بين مختلف نظريات التعلم (سيكولوجيا التعلم، والسلوكية والبنائية والمعرفية..)، وروادها (ابنهاجوس، واطسون ورتمير وبافلوف وجان بياجيه...الخ)

تكمن بلاغة المفهوم في كتاب الباحث في دقة تحديده، وفي تنوع المصادر المعرفية المعتمدة في الإحاطة به، وتحديد اطاره النظري علاقة بعلوم التربية، ومختلف مدارس سيكولوجيا التعلم.

- **بلاغة المقارنة:**

ليدرك القارئ مضمون الخطاب التربوي ممثلا في كتاب: «التعليم والتعلم الفعال»، المطلوب من الفاعل التربوي لتطوير وتجويد أدائه التربوي، بالانتقال بالتدريس من النمط التقليدي في التدريس المعتمد على مجرد نقل المعارف، دون فهم لحاجات المتعلمين واستعداداتهم وذكاءاتهم، إلى النمط التدريسي المعاصر المنفتح على الثورة الرقمية ومجتمع المعرفة، الموظف للنظريات التربوية في هذا الباب ممثلة في نظريات الذكاءات المتعددة باعتبارها» أحثت ثورة في مجال الممارسة التربوية والتعليمية، حيث غيرت نظرة المدرسين إلى طلابهم، وأوضحت الأساليب الملائمة للتعامل معهم وفق قدراتهم وكفاءاتهم الذهنية» ص: 141

تأسيسا على هذا الطرح فإن الباحث يقارن بين التعليم المعتمد على النقل والتعليم المعتمد على الذكاءات المتعددة، مما جعلنا نسم خطابه التربوي ببلاغة المقارنة التي تمكن الفاعل التربوي من ادراك قصور التدريس التقليدي المتمحور حول المدرس والمعرفة، ليعيد النظر في فعله التربوي بتجديد براديماته بلغة تماس كون، باستثمار امكانات الثورة الرقمية ومجتمع المعرفة، التي تمكن المتعلمين من بناء معارفهم واستثمارها الاستثمار الأمثل في حل الوضعيات-المشكلات التي تصادفهم في حياتهم، أو التي تمكنهم من ولوج سوق الشغل.

ويمكن المقارنة بين التعليمين كما يلي:

التعليم المعتمد على النقل	التعليم المعتمد على الذكاءات المتعددة
• -أنه نظام لا يراعي الأساليب المتنوعة للتلاميذ خلال تعلمهم • - أنه نظام تعليمي يفترض وجود ايقاع تعلمي واحد لدى جميع التلاميذ • - يقوم هذا النموذج على الاسراع في انهاء المقرر على حساب فهم التلاميذ • - أنه يجعل التلاميذ في وضعية سلبية • - أنه نظام تعليمي لا ينمي التفكير النقدي لدى التلاميذ أحمد أوزي 2015، ص: 24	• أنها مقاربة تساعد على تحسين المردودية التعليمية-التعلمية • أنها مقاربة تساعد على الرفع من أداء المدرسين • أنها مقاربة تراعي طبيعة المتعلمين في الفصل • أنها مقاربة تنطلق من اهتمامات المتعلمين وتراعي ميولاتهم • أنها مقاربة تساعد على تنمية قدرات المتعلمين وتطويرها • أنها مقاربة تنصف كل المتعلمين وتعتبر أن لكل واحد منهم قدرات معينة أحمد أوزي 2015، ص: 143

من خلال المقارنة بين التعليمين لا مندوحة أن الفاعل التربوي سيختار التعليم الذي سينمي قدرات متعلميه، وينمي فاعليتهم، ويراعي ذكاءهم بغية تطويره والاشتغال عليه؛ وذلك بتنويع استراتيجيات التدريس بما يضمن التمركز حول المتعلم.

وقد اعتبر الباحث محمد مشبال بلاغة المقارنة في الخطاب؛ تقنية واستراتيجية حجاجية لأنها تنبني على تفسير أسباب التفضيل والتفوق باعتماد الرابط الحجاجي "لأنه"7، ومن الواضح أن الخطاب التربوي ومن خلال الأمثلة التي سقناها (انظر الجدول السابق) يفاضل بين مقاربتين بيداغوجيتين واحدة تعتمد النقل دون اكتراث بالمتعلم وحاجاته، ومقاربة تتمركز حول المتعلم وذكائه وقدراته، ويتوارد الرابط الحجاجي8 «أنه» كثيرا.

7- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، منشورات كنوز المعرفة،ط1، 2015، ص: 277

8- هناك فرق بين الرابط الحجاجي والعامل الحجاجي من منظور حجاجية أزفالد ديكرو فالرابط عادة يربط بين المقدمة والنتيجة، أما العامل الحجاجي فهو لا يربط بين مقدمة حجاجية ونتيجة حجاجية وإنما يقيد الامكانات الحجاجية، ينظر عبد الوهاب صديقي، الحجاج اللغوي والتخاطب الانساني عند طه عبد الرحمان، ورقة ضمن الندوة الدولية الرابعة، مؤتمر "النص والخطاب"، جامعة ابن زهر، أكادير 2014

بالتالي فإقرارنا ببلاغة المقارنة في الخطاب التربوي، لرهانه على التأثير على المستَمع الفاعل التربوي بغية تجديد فعله التربوي وتطوير العرض التربوي، بالانفتاح على نظريات التعلم لاسيما تلك المتمحورة حول الدماغ البشري وذكائه، وامكانية توظيفها في تفعيل القدرات الذهنية للمتعلم، والتواصل الفعال معه باستراتيجيات متنوعة تراعي طبيعته وتمثلاته Représentations .

- **بلاغة التشبيه:**

بلاغة التشبيه من البلاغات التي يعتمدها الخطاب الطبيعي، والخطاب التربوي خطاب استعاري ومجازي ومعلوم أن الاستعارة والمجاز والتشبيه آليات في المحاججة، وقد وظف الباحث نماذج متعددة تشبه الفعل التربوي بسائق السيارة الذي يستثمر خبراته في قيادة أي سيارة متاحة له، إلا أن بلاغة التشبيه في الخطاب التربوي ممثلا في هذا الكتاب تبدو لي حينما شبه الباحث عمل المدرس من منظور مقاربة الذكاءات المتعددة بعمل (قائد الجوق الموسيقي الأوركسترا(المايسترو)، يقول الباحث:» يمكن تشبيه وضع المعلم خلال ممارسة عمله بعمل قائد الأركسترا (المايسترو) الذي يقف أمام أفراد الفرقة الموسيقية. يحمل كل عازف آلة موسيقية مختلفة يعزف عليها في الوقت المناسب الذي يتلقى فيه الاشارة من المايسترو، بإشراك جميع أفراد الجوقة الموسيقية يتم اتمام المعزوفة الموسيقية بشكل متناغم ويحس كل فرد من أفراد الفرقة أنه شارك في المعزوفة الموسيقية. وعلينا أن نتصور حضور أحد العازفين أو أكثر إلى المشاركة في أداء دوره في العزف دون أن تعطى له الاشارة للعزف، فقد يعود بآلته منكسرا محبطا، ذلك حال التلميذ الذي يحضر إلى الفصل الدراسي دون أن يستخدم ذكاءه، عندما لا يشرك من قبل المعلم ليتعلم وفق نوع الذكاء الذي لديه» « ص: 140

إذا تكمن بلاغة التشبيه في تشبيه عمل المدرس في الفصل الدراسي، بعمل المايسترو في الجوق الموسيقي، والهدف من هذا التشبيه أن يعتمد المدرس في التدريس على المقاربة التفاعلية، المركزة على مشاركة وتفاعل المتعلم وذكائه، علاوة على العمل التعاوني والتفاعل الايجابي بين عناصر جماعة القسم، وهذا ما يقوم به المايسترو فهو يتحكم في عناصر كثيرة ومتنوعة وكل عنصر يعزف متعاونا مع زميله، متفاعلين مع المايسترو في تناسق ودقة.

- **بلاغة التعلم من النقل إلى الفعالية:**

نقصد من هذا المحور التأكيد حاجة المدرسة المغربية اليوم؛ لبلاغة التعلم أي أن على المدرس أن يتموقع حسن التموقع، ويعيد النظر في براديماته وطريقة اشتغاله في الوسط الصفي، وهو ما سميناه في بحث ب»ابستمولوجيا التدريس»9، من بين ما أكدناه أن الخطاب التربوي اليوم

9- عبد الوهاب صديقي، ابستمولوجيا التدريس؛ المفهوم والدلالة من اجل تدريس فعال وناجح اللغة العربية نموذجا، مقال مقبول للنشر.

يحتاج إلى تجديد براديماته، بلغة توماس كون10،بالقيام ب»انقلابات علمية» على طرق اشتغاله في إيصال المعرفة للمتعلمين،لاسيما ما تخوله الثورة الرقمية والمعرفية، من كم هائل من المعلومات وبسرعة مذهلة،فالمعرفة اليوم ليس مقصودة لذاتها، وإنما المقصود تحفيز المتعلم على استثمارها، الاستثمار الذي يخول له الانخراط في اقتصاد المعرفة،والتنمية البشرية المستدامة.

يقتضي الوصول إلى هذا الرهان تمكين المتعلم من التحكم في الكفايات المعرفية واللغوية والتواصلية،للانخراط الفعلي والايجابي في « مجتمع المعرفة»،لأن التحكم اليوم في المعرفة ومصادرها،تحكم في صناعة الإنتاج والتنمية البشرية.

يستلزم تحقق هذا المقصد إيجاد مناخ تربوي وسياسي يكفل مايلي:

- سياسة التعلم مدى الحياة
- دمقرطة التعلم وإرساء الحكامة الجيدة، والتدبير التربوي الرشيد
- التعلم المتحور حول المتعلم

بالتالي فالوصول لهذا الرهان؛ على الخطاب التربوي تجاوز المقاربات الديداكتيكية المعتمدة على «النقل والشحن» لكم من المعلومات؛ تفرض عليه عموديا دون استحضار لتمثلاته، ولا استعداده النفسي والذهني، إلى مقاربات أكثر جدة وملاءمة لذكاء متعلم مجتمع المعرفة، تنهل من الرقميات، وتتكئ على الذكاءات المتعددة للمتعلمين، وعلى بيداغوجيا الخطأ لبناء التعلمات وتوجيه المتعلم التوجيه الأمثل للتكوين الذاتي والتعلم مدى الحياة.

يقتضي هذا منا كفاعلين تربويين؛ تقييم المقاربات الديداكتيكية المعتمدة في الوسط الصفي، هل تستجيب لحاجيات متعلم؟ هل تستحضر استعداداتهم ورغباتهم؟ هل توفر تعليم متنوع لوسط صفي متنوع؟ أم تقدم استراتيجية واحدة في تنزيل المقررات دون استحضار للمتعلم؟

في ظل الثورة الرقمية هل نوظف الوسائط الرقمية التوظيف الأمثل؟ هل نفعل مقاربة الذكاءات المتعددة في مدارسنا؟

يقتضي الاجابة عن هذه الأسئلة الانتقال إلى المحاور اللاحقة وهي:

التعلم واشكالات النقل:

يحاول الخطاب التربوي ممثلا في (أوزي 2015) الاجابة عن الاشكالات والعوائق التي تصاحب المتعلم، جراء اعتماد المدرس استراتيجية «النقل» كخيار وحيد، في التواصل مع جماعة القسم،

10- خص توماس كون فصلا كاملا حول كيفية الانتقال من براديم إلى آخر عن طريق الانقلابات العلمية،انظر توماس كون،بنية الانقلابات العلمية،ترجمة سالم يفوت، الطبعة الأولى 2005،دار الثقافة للنشر والتوزيع البيضاء،ص: 181 وما بعدها.

فهذه الاستراتيجية تجعل المدرس هو المهيمن، بالتالي يبقى المتعلم كما يقول الباحث أحمد أوزي: «في حالة سلبية ويقل أو يغيب تفاعله مع المعلم» ص:118

ومعلوم أن التدريس الفعَّال يقتضي مشاركة المتعلم في جميع مراحل الدرس، وتوجيهه لبناء المعرفة بنفسه، ويستلزم هذا الأمر من المدرس تخطيطا جذاذيا محكما يتبوأ فيه المتعلم مكانة، فيستحضر في الحوار، في رغباته واستعداداته وبيئته، وايقاعات تعلماته، والمناخ المدرسي المحيط به.

إن المتعلم بهذا المعنى ليس وعاء فارغا يُملأ بمعارف ومعلومات، وإنما قبل هذا وذاك كائن انساني له رغبات وميولات وعواطف وذكاءات؛ تحتاج منا من يتفاعل معها التفاعل الايجابي الذي يقدر قيمتها وقدرتها على الابتكار والابداع، وفي غياب هذا التصور في ذهن المدرس؛ فإن وظيفة «نقله» للمعلومات والمعارف ستكرس النفور والملل عند المتعلم، ولا ضير في هذه الحال أن نُصادف في الوسط الصفي ونحن في حصة الدرس اللغوي مثلا؛ متعلمين يرسمون على المقاعد والأوراق رسومات رياضية، أو يفككون ساعاتهم اليدوية، أو يكتبون رموزهم الشخصية لصفحاتهم للتواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، وهكذا ولا ضير أن نصادف أباء يرفضون نصيحة المدرس توجيه أبنائهم في التكوين المهني رغم ما يُلاحظ لديهم من ذكاء مهارتي، كل هذا راجع إلى عدم فهم المتعلم وذكاءاته، فرغم قصوره في مجال ما فله ذكاء قوي في مجالات أخرى، فالذين يرسمون على المقاعد لو تم توجيههم في مسلك الفنون التشكيلية باكرا لتفوقوا فيه، كذلك الذين يفكون الساعات فهذا ذكاء اليكتروني لو أُنتبه له لانتفع به صاحبه وقس على ذلك.

صفوة القول؛ على المدرسة الجديدة التخلي عن المقاربة المعتمدة على النقل؛ دون استحضار لرغبات المتعلمين وميولاتهم، لأن من شأن ذلك أن يزيد من انعزاليتهم وعدم تفاعلهم ايجابيا مع الدرس، مما يفتح الباب أما التفاعل السلبي؛ شغبا وضجيجا وعنفا وهدرا للوقت وبورا للقيم.

يكتب باحث عن «المدرسة والوسائط الرقمية» أن المطلوب من المدرسة اليوم في هذا الواقع الرقمي المتغيير اعداد المتعلم للمعارف وكفايات المستقبل11، ولا خيار أمام المدرسة اليوم إلا استثمار الموارد الرقمية، واعتماد استراتيجيات تدريسية تعتمد على مقاربة الذكاءات.

التعلم وابستمولوجيا التدريس:

يقترح الخطاب التربوي للانتقال بالتعلم من النقل إلى الفعالية استراتيجيات متنوعة مع اقرار منه بحرية المدرس في اختيار الاستراتيجية الملائمة للوسط الصفي المسند له، يقول الباحث

11-Bernard Cornu et Jean-Pierre Véran , Le numérique et l'éducation dans un mande qui change : une révolution ? , Revue internationale de l'éducation de sèvres,67, 2014, p3

أحمد أوزي «فبالرغم من تعدد الطرائق البيداغوجية إلى درجة الخلط والغموض بينها، إلا أنه يمكن القول بأنه ليس هناك منهج بيداغوجي معين، يمكن تفضيله عن آخر وفرضه على المعلم، فللمعلم حرية اختيار المنهج المناسب حسب المادة وحسب الظروف» ص: 117

وضمانا لفعالية التعلمات ثمة شروط يجب توفرها في المدرس وهي:

- تعرف بوعي ابستمولوجي مختلف نظريا سيكولوجيا التعلم
- تعرف مختلف الصعوبات التي من شأنها عرقلة تعلمات المتعلم
- تعرف مختلف الاستراتيجيات التي تضمن التفاعل الجيد مع المتعلم وتساعده في بناء تعلماته

فمقتضى الشرط الأول؛ يستلزم فيما وكله الله لرسالة التدريس، أن يكون مزودا بمعارف لها علاقة بمادة التخصص، وبنظريات تعينه على فهم العملية التعليمية –التعلمية، وقد خص الكتاب فصولا لذلك فوقف عند المقاربة السلوكية مع واطسون وبافلوف، والمقاربة البنائية مع جان بياجيه، والمقاربة البنائيةالاجتماعية مع ليف فيجوتسكي، والمقاربة الجشطالتية مع إرنفليس وارنست ماخ وكوهلر ورتمير، والمقاربة الوسائطية المعتمدة على الذكاءات العاطفية المتعددة.

يستلزم هذا الشرط التعرف على مختلف الاستراتيجيات التعلمية الممكنة للتفاعل الايجابي مع المتعلم ومنها تمثيلا لا حصرا: التعلم وبيداغوجيا الخطأ، والتعلم وحل المشكلات، والتعلم ولعب الأدوار، والتعلم التعاوني، والتعلم ودراسة الحالة والقياس الاجتماعي...الخ

إن كان هذا الدور موكولا لمراكز مهن التربية والتكوين التي أخذت على عاتقها اعداد المدرسين؛ من حيث العدة البيداغوجية والديداكتيكية والتشريعية، والتأهيل النفسي والعملي، والتخطيط الجذاذي والرقمي، حتى لا يَتنصَّل البعض من مسؤوليته بدعوى «التعيين المباشر»، فإن التكوين المستمر يجب أن يقوم بدوره في تمهير المدرسين وغيرهم وامدادهم بجديد الموارد الرقمية وامكانية توظيفها في التدريس الفعال والجديد.

أما مقتضى الشرط الثانيكون الصعوبات التي يمكن أن تعرقل سيرورة التعلمات عديدة منها ما يرجع للمدرس وعدته، منها ما يرجع للمتعلم واستعداداته، ومنها ما يرجع للوسط المدرسي بنايته، و محيطه، و سياسة تدبيره، ومنها للمنهج والمقرر وعدم ملاءمته.

غير الكاتب أحمد أوزي في هذا الكتاب حاول أن يحدد هذه الصعوبات في جانبين:

جانب تعريفي وتنميطي لصعوبات التعلم

جانب سيكولوجي يربط هذه الصعوبات بالإيقاع التعلمي لكل متعلم

بصدد الجانب الأول يفرق الخطاب التربوي قيد الاشتغال(أوزي 2015) بين مفهومين متداخلين

هما: صعوبات التعلم واضطرابات التعلم، فالمفهوم الأول صعوبات التعلم Difficulté d'apprentissage يعني الصعوبات التي يواجهها المتعلم جراء اصابته بإعاقة بصرية أو جسدية أو سمعية أو ذهنية أو غيرها التي تحول دون التمكن من الكتابة والقراءة والحساب.

وتتنوع هذه الصعوبات إلى على سبيل التمثيل لا الحصر إلى :

- عسر القراءة دسلكسيكا (DYSLEXIE)
- عسر الكتابة دسجرافيا (DYSJRAPRHIA)
- عسر الحساب دسكالكوليا (DYSCLCULIE)
- عسر الكلام ديسفيزيا (DYSPHASIE)

أما المفهوم الثاني اضطرابات التعلم Trouble d'apprentissage فإن يدل على التباين الموجود بين النتائج المحصَّل عليها وبين ما هو متوقع من المتعلم، وتخضع هذه الاختلافات لظروف عرضية تزول بزوال العلة الصحية أو النفسية أو بالتدريب لتدارك النقص الحاصل، عكس صعوبات التعلم إذا لم يتم تشخيصها مبكرا فإن المتعلم ستشد معاناته أكثر.

تأسيسا على الجانب الثاني المتعلق بالإيقاعات التعلمية فإن المدرس الناجح هو العارف والضابط لإيقاعات تعلمات فصله، سيمكنه هذا الأمر من اكتشاف بطء التعلمات عند فئة من المتعلمين في اكتساب مهارة، أو ضبط مفهوم. الخ، بالتالي البحث عن الحلول الناجعة لها.

صفوة القول يستدعي نجاح التعلمات في الوسط المدرسي توفر شروط كثير سنركز على التي يجب أن تتوفر في المدرس، والتي جمعنها في مفهوم ابستمولوجيا التدريس؛ أي ممارسة مهنة التدريس بوعي نقدي، يجعله يعيد النظر في براديماته، بمتابعة ما يتعلق بمادته من كتابات واصدارات جديد، وبمعرفة تامة بنظريات التعلم واستراتيجياته التي ستعينه من التفاعل الايجابي مع المتعلم، وتساعد هذا الأخير في بناء تعلماته والتكوين الذاتي والتعلم مدى الحياة.

التعلم واستراتيجيات الفعالية:

إن مفهوم فعالية التعلم يقصد به؛ تأثير التعلمات في المتعلم، أي حين تساعده مكتسباته من معارف ومهارات ومواقف من حل الوضعيات-المشكلات التي يصادفها في محيطه الاجتماعي والثقافي.

أي منح المدرسة معنى، من خلال منح التعلم معنى كما يقر الباحث محمد بوبكري12، ويقتضي منح التعلم معنى إعادة النظر في المقاربات التقليدية في عملية التعليم والتعلم، بالانفتاح على استراتيجيات التي تخولها المقاربات الرقمية من قبيل الذكاءات المتعددة، النظرية

12- محمد بوبكري، المدرسة وإشكالية المعنى، السلسة البيداغوجية رقم 6 ،ط 1،1998 ، دار الثقافة البيضاء، ص: 78

التي أحدثت ثورة مهمة في حقل التربية والتدريس وفهم الدماغ البشري وذكائه وقدراته فهي تمكن من «اتباع مداخل تعليمية متنوعة لتحقيق التواصل مع كل المتعلمين» ص: 142

إن من مقتضيات التدريس وفق مقاربة الذكاءات المتعددة، الانفتاح على التعليم الاليكتروني والتعليم المبرمج، لمزاياهما ولتفاعل المتعلمين معهما، وبالتالي على المدرسة اليوم أن تكون رقمية بكل المعايير في التدريس والتدبير والتجهيز، حتى يتمكن الفاعل التربوي من اكتشاف مواهب وذكاءات المتعلمين، بالتالي توجيهها لفضاءات الابتكار والابداع وبذلك نحتفظ على مقدرات الوطن، ونستثمر في الثورة البشرية واقتصاد المعرفة، على اعتبار أن من أهداف التكنولوجيا ايجاد بدائل لمواجهة مشاكل الانسان الاقتصادية والصحية والبيئية، وقد استطاعت تكنولوجيا النانو مثلا تقديم بدائل لمواجهة أمراض السرطان، والبيئة و تحديات الأمن الغذائي13، وبالتالي يكون الاستثمار في التكنولوجيات واقتصاد المعرفة تدشينا لغد أفضل بالنسبة إلينا نقول فيه أن « زمن استيراد مشاريع التنمية الجاهزة قد ولى، ولا بد من رؤية عربية وإسهام أكبر للتخلص من آفة التلقي السلبي لحلول مشكلاتنا»14

وارتباطا بالمدرسة فإن معالجة كثير من مشاكلها يكون برقمنتها، وانفتاحها على مقتضيات ذلك كاعتماد مقاربة الذكاءات المتعددة والتعليم الاليكتروني تدريسا وتدبيرا وتجهيزا، حتى تستجيب المدرسة لتحديات الألفية الثالثة التي تتطلب الاستثمار في الثورة البشرية والاقتصاد الرقمي، والانخراط في مجتمع المعرفة.

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة دراسة وتحليل الخطاب التربوي ممثلا في كتاب الباحث أحمد أوزي بعنوان:» التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجية منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ» من منظور بلاغي يبرز الامكانات البلاغية والحجاجية في الخطاب التربوي بغية الاقناع والتأثير في المستمَع/ الفاعل التربوي، لغاية تحفيزه على تجديد ممارسته التربوية بالوعي أولا بنظريات سيكولوجيا التعلم بمفاهيمها ومدرسها، وثانيا بمعرفة تامة بصعوبات التعلم قصد مواجهتها، وثالثا بالانفتاح على امكانات الثورة الرقمية في انجاح التعلمات فصد استثمارها.

وقد وجدنا أن الخطاب التربوي غني ببلاغات تجعله مقنعا مؤثرا، مما يجعل الباب مفتوحا أمام مقاربات أخرى لدراسة وتحليل الخطاب التربوي قصد المساعدة في فهمه، وايجاد حلول وبدائل لقضاياه.

13- ينظر للتفصيل، محمد شريف الإسكندراني، تكنولوجيا النانو من أجل غد أفضل، منشورات عالم المعرفة، عدد 374 أبريل 2010

14- نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، ج1، منشورات عالم المعرفة، عدد 369 نونبر 2009،ص: 318